ثنائية قبل أثناء بعد

د. محمود صبح

(مدخل الى رثاء مدينة الزهراء)

« مدينا ثارا » ،
« مدينا ثارا » ،
ويهطل فوق « مدينا ثارا »
وخيم المطر .
قفا نبك هذي الديارا ،
اناخ بها كلكل الليل ،
ضرّسها الدهر فهي فلاق زجاج ،
فتات حجر .
حصى تحت رجليّ يصطكّ ،
يجرح كفّي بلّور هذي القصور ــ الحتوف .
انقب فيها عن الصولجان ،
عن « الارابسكو » ،
ــ على ضوء عينيّ ــ
عن نسخة من مصاحف عثمان ،
عن شعر « اني ذكرتك ...
ريح العجاج
تهبّ من الجوف » (١)
تستفّ هذي الحروف .
تقيأت الآن حرفا ،
ــ اضاد ؟
هو الصاد
راث عليه الذباب .
قطيع الارانب (٢)
يقرض عشرين بيتا من الشعر ،

ستين حزبا من السور الامهات .
تراها
تغير ،
تنطّ ،
تموج عبابا عباب ،
واعينها كالشرار ،
وترسل نيرانها
عبر عتمة هذي الدياجير
ابّان هذي الاعاصير
حتى تصيب مقاتل هذي الديار ــ الموات .
فأوجرتها نظرة
أوجعتها اختفت خلف شيح
هناك تحركه الريح ،
ــ او هكذا قد تخيلت ــ
تخزر أخزرها من بعيد ،
وتقفز أقفز ،
تقعي ... فاقعي على جثوة من رفات .
ارانب هذي الطلول ،
دعي لي ،
سألتك بالله ،
بيت القصيد
وآية ان ....

* * *

تقمصّ روح الخليفة نسر
يحطّ على سروة
جذعها قامتي :
أيها الناصر العبشميّ

---

(١) الجوف : الجهة الشمالية في اللهجة الاندلسية .

(٢) تكثر الارانب في اسبانيا ، وكلمة « اسبانيا » تعني ارض الارانب .

اتيتك اسالك النجدة النجدة الآن
لا القدس قدس
ولا الشام شام
ولا مصر مصر
ولا العربي بأرض العروبة بالعربي

* * *

قفا نبك هذي الديارا
وتلك الديارا .
« مدينا ثارا » ،
« مدينا ثارا » ،
ويهطل فوق « مدينا ثارا »
وخيم المطر .
تناوش شعري الخفافيش
ـ قبل ولوج السحر ـ ،
تدقّ نواقيس « كردب »
تعوي ذئاب « سيرّا مرينا » ،
يئزّ بسمعي صرير الجداجد :
زهراء زهراء زهراء ...
باسمك كان البناء ،
على اسمك ،
لا اسم خليفة آل امية ،
راحت تجول الخيول
بـ « قشتالة » ،
بـ « غليشيـا »
وبالبرتغال
وارض الفرنج :
بلاط « بوتيه » جليد
عليه تزحلجت الشهداء .
(هنيبال)
قد هزمته ثلوج الصخور ،
تقهقر فوق الجبال ،
تدحرجت العين منه على « الالب » ،
ثم تزحلق مليون فيل .
فعد ،
أيها العربي ،
الى خيمة تحت ضوء القمر
تقيّل بفيء النخيل
اذا ما شواك الهجير
برمل الصحارى .
« مدينا ثارا » ،
« مدينا ثارا » ،
ويهطل فوق « مدينا ثارا »
وخيم المطر .
ـ بأي العبر
تكذّب
يا باكي الوطنيـن
ويا شاعر اللغتين ! ،
وطلسم شعرك
لا يسبر الغور منه
سوى مدلهمّ الشعور
وضيء الضمير
ثنائية نفسه و
ثنائية أرضه و
ثنائية « قبل
اثنـاء
بعد »
الوقوف ـ المسير .
فلسطين ـ زهراء
هذي قبور
بني مضر
اتخذيهـا
قوارير عطر
وبلسم ،
وخلّي السبيل
لأعمى ـ بصير ،
فاني أعود
غدا
أو بعيد غد
الله أعلم ...

د. محمود صبح

مدينة الزهراء ، في ٢ كانون الثاني ١٩٧٨